البعثة والوصاية في كلام الإمام علي (ع)

ما هو أثر البعثة في المجتمع العربي ؟ وما علاقة البعثة بالوصاية على الأمة الإسلامية ؟ ما هو حق البعثة على الأمة الإسلامية في كل الأزمان ؟

1. أشرقت البعثة على ظلمات المجتمع العربي ، وبدأت تتغير معالمه ، وأخذ يتحرك وفق منظومة جديدة لم يعتد عليها ، في ظل ورعاية خاتم الأنبياء الذي أتم ا مسيرة أنبيائه ببعثته .

وكان لنور النبوة تأثير في تلاشي وطرد الظلمات ، حيث ((َأهْلُ الاْ َرْضِ يَوْمَئِذ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَة ٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَة ٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَة)) .

فالأمراض التي كان يعاني منها المجتمع العربي :

1- تفرق الملل .

2- الأهواء .

3- تشتت الطرق .

والعلاج النبوي ، أن((َهَدَاهُمْ بهِ مِنَ الضَّلاَلَة ِ، وَأَنْقَذَهُمْ بمَكانِهِ مِنَ الجَهَالَة ...)) .

1- هدايتهم من الضلال إلى الإيمان .

2- الإنقاذ من الجهالة إلى العلم .

فيكون (الإيمان والعلم) هما ركيزتان أساسيتان لبناء المجتمعات البشرية .

2- في ختام الفقرة التي بدأنا بها ، ألمح الإمام علي للوصاية ؛ وتأتي أهمية إدراج

مبدأ الوصاية ضمانا وحفاظا للأمة عن أن تميل أو تنحرف عن المسار الذي خطه لها النبي .

وبرحيله عن دار الدنيا سيحصل فراغ كبير ؛ قد يؤدي إلى نكوص وتراجع عن المسيرة ، خاصة أن المجتمع في بداية تحوله الجديد ، والأمراض لما تشفى جيدا .

والغرض من هذا الأمر ، كما نص الإمام : ((وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ في أُمَمِها ، إذْ لَم يَتْرُكُوهُمْ هَمَلا ً، بِغَيْر طَريق واضِح ، ولاَعَلَم قَائِم ...)) .

1- فالخلافة والوصاية هي سنة لكل الانبياء ؛ والنبي خاتم ، فيتأكد هنا هذا المبدأ ، لأنه لا نبوة بعده .

2- ترك الأمة هملا بغير سبيل واضح ، ولا إرشاد ولا توجيه ، يعني إرجاعها لما كانت عليه من التفرق والتشتت ، وهذا ما يتنافى مع بعثة الأنبياء ودورهم .

3- الوصي يأتي في الأهمية والدور كما النبوة ، وهذا ما عنته كتب علم الكلام حينما ساوت بين ضرورة النبوة والوصاية .

فالإمامة (الخلافة والوصاية) تتمة لدور (النبوة) ؛ ولا فصل بينهما أبدا ، فالفصل يعني إلغاء لدور النبوة .

4- الوصي بعد رحيل النبي هو حلقة وصل الأمة بمفهوم النبوة ودورها ، فلا دخول للنبوة إلا عن طريق الإمامة والخلافة ، أما القفز والتجاوز عن الوصاية والخلافة بدعوى الوصول إلى النبي هو تجاوز لدور النبوة أصلا وانحراف عن مسيرتها ، فالانحراف عن خط الوصاية هو انحراف عن خط النبوة .

3- من الواقع ومواصفاته سنقرأ ونحلل ، ما تم ترجمته عمليا من أدوار النبوة والوصاية على مر التاريخ ، فإذا اكتشفنا أن واقع الأمة على غير ما أرادته النبوة الخاتمة والوصاية ؛ فهذا يعني أن الأمراض التي كان يعاني منها المجتمع العربي عادت ! .

فالتشتت والتفرق والنزاع والأهواء والطرائق المنحرفة والضلالات والجهالات المتفشية ، إذا كانت هي علائم المجتمع وسبلها القائمة ؛ هذا يعني أننا لم نقم بحق البعثة والوصاية ، ولم نتمثل الدور

النبوي الذي بعث فينا تحولا وتغييرا إلى ناحية التكامل والبناء الحضاري الإلهي .

فلو فكرنا من هذه الناحية في احتفائنا بالبعثة ؛ سنكون أمة واعية تستوعب حركة التاريخ ومسيرته .

وإلا لا فائدة من الانتماء الديني السطحي الذي نردده ، وواقعنا الداخلي ، متفكك ومتنازع لا ينتمي للمثل والقيم التي زرعها لنا النبي في مسيرة بعثته .